سلسلة كن جيداً، وانطلق

Be Good, Do Good

قصص تربوية

الكذابة



الكَذّابَة

كنتُ أفكِّرُ في القَولِ أنَّ الكلبَ أكلَ واجِباتي المنزليّة، ولكنّ المشكِلة أنّه لم يكُن لديَّ كَلب.. هل يُمكنُني أن أَقول أنَّه كان كَلب الجِيران؟ إنَّ لديهِم كَلباً صغيراً أجعَد الشَّعر، وهو يعوِّضُ عن حجمِه الصَّغير بالنُّباحِ باستِمرار، وبإخراجِ رأسِه وإبرازِ أنيابِه في وَجهي. والحقيقَة، أنّني نسيتُ تماماً بأنّه كان لديَّ واجِب منزِلي بالأمْس.. لقد كانَت الآنِسة برينسون تنظُرُ إليَّ بترقُّب.. وكانت لديَّ بعضُ الأفكارِ العاصِفةِ.. هل أتذرَّع بالقَول أنَّ شَخصاً ما سرقَ واجِباتي المنزليّة؟ ولكنْ ما هو السَّبب الذي سيدفعُ أيّ شخصٍ لأن يكلِّف نفسَه عَناءَ

سرِقة واجِباتي المنزليّة، سيكونُ ذلك صَعب التَّفسير.. تخيَّل أنّ لِصّاً ما سيُهنّئ نفسَه على سرِقةِ واجِباتي المنزليّة: «آآآه وجدتُها! رِسالة ليندسي الرائِعة عن الكاتِبة إميلي ديكنسون.



لقد بقيتُ أبحثُ مدَّةً طويلةً، وقد قَضيتُ نِصفَ عُمري في هذا العمَل الرائع بَحثاً في كتاباتِها الآسِرة!»




"Get it? Tomorrows . . .

فكّرتُ في إضافةِ بعضِ المؤثّراتِ والوقائِع، مثل سَرقةِ بعض الأعمالِ الفنّيةِ أيضاً، والتي كانَت تحتفِظُ بها عائلتُنا منذُ أجيَال.

ولكنّ الحقيقةَ أنَّ أجدادي كانوا بَسيطينَ جِداً وأقوياء، وكانوا أُناساً يعمَلون في الزراعةِ.. أمّا أبي وأمي فكانَا يعمَلان في متجرٍ للبِقالة، وقد ورِثا الكثيرَ من الإدراكِ العقليِّ السَّليم، ولكنْ لم يكُن لديهِما أيّة أحاسيس فنّية ولم يرسُما أيّةَ لوحاتٍ. ولكنْ حينَ طلبَت الآنسةُ برينسون رؤيةَ الواجباتِ المنزليّةِ، أجبتُ بأُسلوبٍ مليءٍ بالبراءةِ ورُحتُ أشكُو بالقَول: «لقد نسيتُ فُروضي في المنزِل يا آنِسة برينسون».

كان هذا العُذرُ قَديماً جِداً يكادُ يبلغُ قُروناً من العُمر، ولا أحدَ يقتنعُ به!

وبدونِ شَكٍّ هو يفتقِرُ إلى الإبداعِ، «أنتِ

مَعتوهةٌ» بهذه الكلِمات رُحتُ أوبِّخُ نَفسي.

ولكنّ الآنِسة برينسون تنهَّدَت ونظَرَت في وَجهي قائلةً: «أحضِريها غداً، والآن إجلِسي.. واحرِصي على أن تجدَ فُروضكِ المقبِلة طريقَها إلى مكتَبي في الوقتِ المطلُوب». قالتها بحدَّة.. لم أستَطِع أن أصدِّقَ ما تسمعُه أذنيَّ! ألم تكُن هي رائعةً للغايةِ.. من وجهِها الجَميل حتّى حذائِها الباهِظ الثَّمَن؟

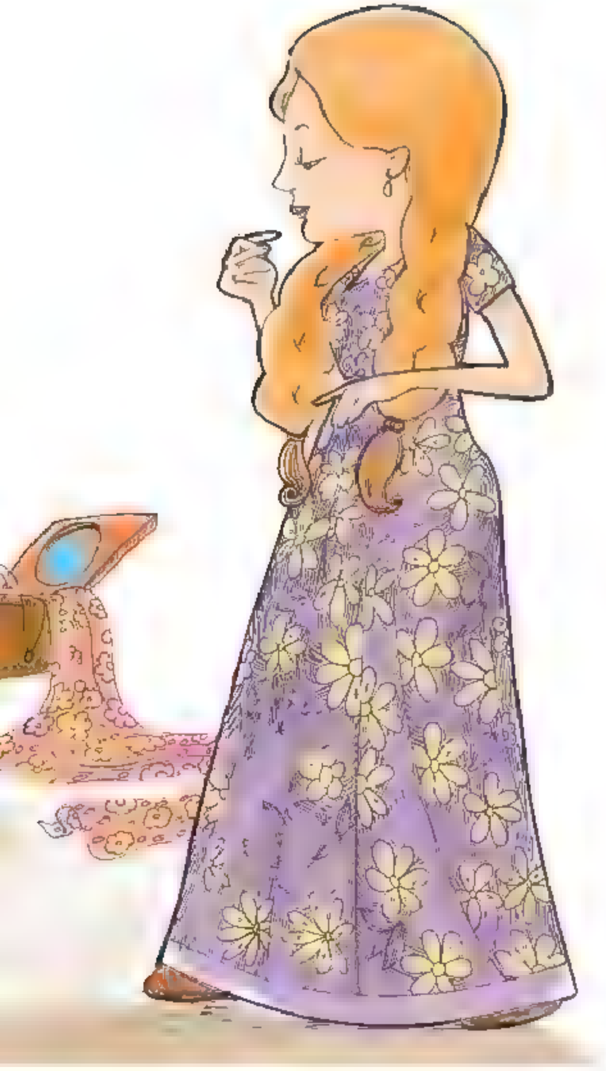
كنتُ أعرفُ أنَّني في يومٍ من الأيام سوفَ أكتُبُ القِصصَ الخياليّةَ.. وستكونُ القِصّةُ الأولى من بلدتِنا الصَّغيرة بايب.. ولكنّني لم أستَطِع حتى الآن فِعل ذلك.. لم تكُن لديَّ أيّة قُدرةٍ على التحكُّمِ بالكلِماتِ التي تتدفَّقُ من فَمي في بعضِ الأحيَان. لم أكُن أسمّيه

أبداً «كَذِباً».. لقد كانَ «تفكيراً إبداعيّاً».. وكانت موهِبتي تُهدرُ على الفُروضِ المدرسيّة المملّةِ وعلى مُساعدةِ والديَّ في تحضيرِ الطّماطِمِ والبَيضِ.



كمْ كرهتُ حيَاتي! أتذكَّرُ كيف كذَبتُ على صَديقاتي مرةً عندما كنتُ في الصَّفِّ الثّاني. وكنّا قد انتقَلنا للتوِّ إلى منزلِنا في هذه البَلدةِ، وقُلتُ للجميعِ أنَّ أمّي كانت في الواقعِ أميرةً من أصولٍ شرقيّةٍ، وقد تزوَّجَت شَخصاً أدنَى منها مَنزلةً..

وبطبيعةِ الحالِ، فقد أحسَّ أجدادي بالاشمِئزازِ فطردُوها.. ولكنّنا دائِماً نُخاطبُها بِاسم «صَاحِبة السُّموّ» أو «سيِّدتي» في المنزلِ.. وحتّى اليوم لم تتعوَّد والدَتي بعدُ على الحياةِ الفَقيرةِ التي يعيشُها عامّةُ الشَّعب. أنا لا أعرفُ حتّى كيف خَطرَت لي هذه القِصص الرائِعة، ولكنّ الفَتيات سُحِرنَ تماماً بهذه القِصّة مدّةَ بِضعةِ أسَابيع. وقد قمتُ باصطِحابهنَّ إلى المنزلِ لإلقاءِ نَظرةٍ



على الأميرةِ.. أعتقدُ أَنَّهنّ أُعجِبنَ جِداً بفُستانِها
المخمَليّ الناعِم ذو الأزهارِ الصَّفراء الجَميلة،
والذي يستحقُّ أن يكون رِداءً مَلَكيّاً.. أما





شَعرها الدّاكِن وعيناها البرّاقتَان فقد أضافَت
إلى الجوِّ مَزيداً من السرّيّةِ والجَمالِ.
وقد أُذهِلَت أمي تماماً عندما انحنَى ميشيل



وهو يُناديها بِـ «فخامَتكِ»، ناسِياً لقبَ «صاحِبةَ السُّموّ». وبعدَ أن غادرَت الفتياتُ راحَت أمّي تضربُني ضَرباً مؤلِماً.. وكِدتُ اتَّصلُ بهيئةِ الخَدَماتِ الاجتِماعيّةِ لتأخُذني بَعيداً عنها.. ولكنَّني لم أستَطِع الاتّصال بالرقمِ حين قالَت لي بهدوءٍ أنَّ عليَّ الذهابَ ورُؤية ما حدثَ للفَتياتِ.. لم يُطاوعني قَلبي أن أُهمِل كلامَها، لقد كانَ هناك بَريقٌ غريبٌ يلمعُ في عينَيها. واليَوم، وقد صرتُ في الصفِّ السّادِس أتساءَل أحياناً إن كانت تلكَ دُموعُ فَرحٍ محبوسةٍ في عينَيها في تلك اللَّحظة، وربّما اعتقدَت أنَّني صدَمتُ رَأسي بحائطٍ ما فأصبحتُ أختَلقُ الأكَاذيب.

لقد اكتسبتُ سُمعة كَوني فِعلاً شخصيّةً مميّزةً.. وقد سامحَتني صديقَاتي لأنّني، كما



أعتقِد، كنتُ مسلّيةً وممتعةً للغايةِ.
إنكَ بحاجةٍ للكثيرِ من الجُهدِ لكَي
تُسلّي نفسَكَ في مكانٍ مملٍّ مثل بَلدةِ
بايب.. والآنِسة برينسون مدرِّسة
اللُّغة الإنكليزيّة الجديدةِ كانَت تَسليةً

موضِعَ تَرحيب.. وكانَت جاهلةً تماماً بكيفيّةِ
التعامُلِ مع مجموعةٍ من القُرودِ، واللَّواتي
كنَّ نحن الفَتيات. وبما أنّها شخصٌ آتٍ من
الخارجِ، فقد كانَت موضِعَ الاهتِمامِ والثَّرثَرةِ

في المدرَسة. وفي أَحَد الأَيّام سُمعَت السيّدة جونز مدرِّسة الرياضيّات تقولُ لها: «أنتِ ليّنة جِداً مع هؤلاءِ الفَتَياتِ يا إيزابيل».

فردَّت الآنِسة برينسون بهُدوءٍ: «أوه، إنهنَّ فقط يتصرَّفنَ وفقَ عُمرِهن. وسوف تَستعِدنَ وعيَهُنّ»، فتذمَّرَت السيّدة جونز، وقالت أنّها تعرفُهُن بشكلٍ أفضَل.



كانت الفَتياتُ كثيراً ما يعتَبرنَ الحصَّةَ المدرَسيَّةَ للآنِسةِ برينسون فُرصةً للثَّرثرةِ والهَمسِ والضَّحِكِ، وتمريرِ الملاحَظاتِ، والخربَشةِ، ورَسمِ الآنسة برينسون بشكلٍ ساخِرٍ، وإصدارِ أصواتٍ مضحِكةٍ، فكنَّ يتناوبنَ لإحداثِ صَريرِ الفِئران أو مُواءِ القِطَط الصَّغيرة.

وفي إحدى المرّات قامَ عددٌ قليلٌ من الفَتياتِ بالتظاهُرِ فجأةً بالإحسَاسِ بألمٍ في المعِدةِ وبأمراضٍ غَريبةٍ، وأمضَينَ الحصَّة في غُرفةِ الممرِّضة.. ولم تستَطعِ الآنسة برينسون أن تُدركَ ما كانَ يحدُث. أما اللَّواتي تظاهَرنَ بالاستِغراقِ في القِراءةِ بكُتُبهنَّ فكُنّ ماكِراتٍ يقرأنَ الرِّواياتِ والقِصَص. لقد كنّا خارجَ نِطاقِ السَّيطَرة!



وفي إحدَى المرّات تمَّ إلقاءُ القَبضِ على فَتاتَين شقيّتَين، جانيس وهيذر، أثناءَ محاولتَهما التسلُّل خَارج المدرَسة من قِبَل الآنِسة برينسون.. فبَدأَت الفَتاتان تبكِيَان وتتوسَّلان إليها قائلتَين: «أرجوكِ آنِسة برينسون لا تأخُذِينا إلى النَّاظِرة. أرجوكِ، أرجوكِ، أرجوكِ».. وكلُّنا نعلَمُ أنَّ الدُّموع كانَت مزيَّفةً وكاذِبةً. هاتَان الفتاتَان كانتا دائِماً تخطّطان لأمرٍ خَبيثٍ. فعندما كانَت جانيس في الصَّفِّ الخامِس، أخفَت شَهادتها المدرسيّة مدَّة أسابيع، وقالت لوالدَيها أنَّ مدرَسةَ سانت مارغريت لديها خطَّة عملٍ جَديدةٍ في تلك السَّنة، حيثُ أنَّهم سوفَ يُرسلِون الشَّهادات المدرسيّة بالبريدِ بَدَلاً من تسليمِها للطُّلاب.. وعندما لم تصِل الشَّهادة

Please Miss B., don't take us to the principal,



please,

please.

please,



بعدَ عِدّة أسابيع، تساءلَ الوالِدان إذا كانَت المدرَسة قد أرسلَت البريدَ على عنوانٍ خاطئٍ. وتكشَّفَت الحقيقةُ عندما أمسَكا جانيس وهي تُحاولُ إحراقَ الشَّهادةِ المدرسيّةِ في الفِناءِ الخلفيِّ.. وقد تمَّت مُسامحتُها بسببِ صِغَر سنِّها، ثمَّ أرسلَها والداها لتلقّي دُروسٍ في النُّصحِ والانضِباطِ. وكان المدرِّسون في الواقعِ ألطَفَ ممّا يجِب مع حالتِها السُّلوكيّة السيّئة.. كما كان لهيذر أتباعٌ أوفياءُ يلاحِقونَها مثلَ ظلِّها.

اتّصلَت الآنِسة برينسون بوالدَيهما على الفَورِ، وقرَّرت مُديرةُ المدرَسةِ حرمانَهما من دُخولِ الصُّفوفِ المدرسيّةِ لمدةِ أُسبوعَين كاملَين. وكان هذا يَعني أنّه يجبُ عليهِما الجُلوسُ في صَفٍّ آخَر، وإكمَال كلّ ما لديهِما من فُروضٍ

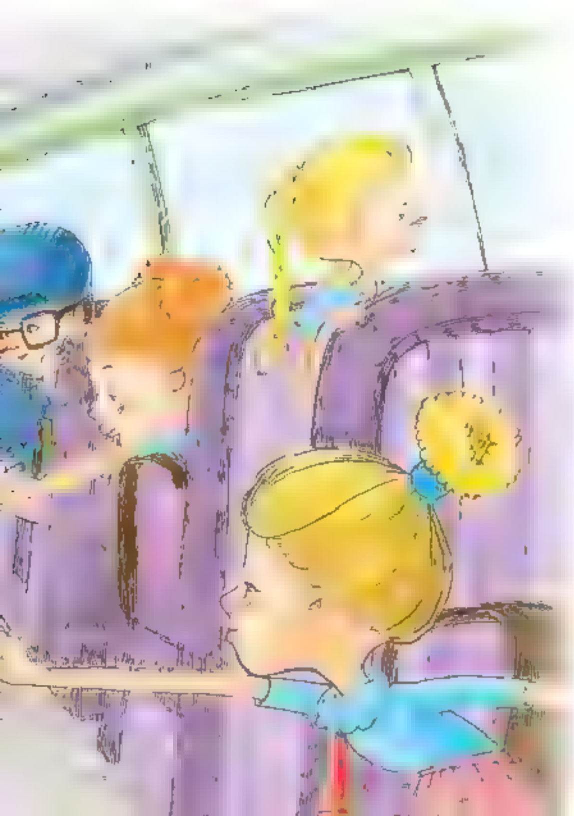
ودروسٍ، وكلُّ ذلك كانَ يتمُّ تحتَ إشرافِ فريقٍ خاصٍّ من المعلِّمين.

وعندما عادَت جانيس وهيذر إلى الصَّفِّ، حاوَلتَا قُصارى جهدِهما أن تَبدُوا «تائبتَين».. كانتَا هادئتَين وواعيتَين في الصّفّ، كما لو أنّهما مكسورَتَي الخاطِر.. وقد تمكنَتا من جَعلِ الآنِسة برينسون تشعُرُ بالذَّنْب.. وكان ذلك باديًا على وجهِها كلَّما نظرَت إليهِما.. ولكنّنا لم نُخدَع بالرَّغم من ذَلك.. وسوفَ يستغرِقُ الأمرُ أقلَّ من أُسبوعَين لتعُودا كما كانَتا. كنّا واثِقين من أنّهما كانتا تخطّطان لشيءٍ ما.. فبعدَ الإعلانِ عن رحلةٍ مدرسيّةٍ قريبةٍ صاحَتا مَعاً: يااااي! رِحلةٌ ميدانيّةٌ! سوفَ نَذهبُ إلى متحَفِ الفنِّ. وبالطبعِ لم يكُن أيٌّ منا مهتَمّاً أبداً بالفَنِّ، ولكن لا يهُم! سوفَ



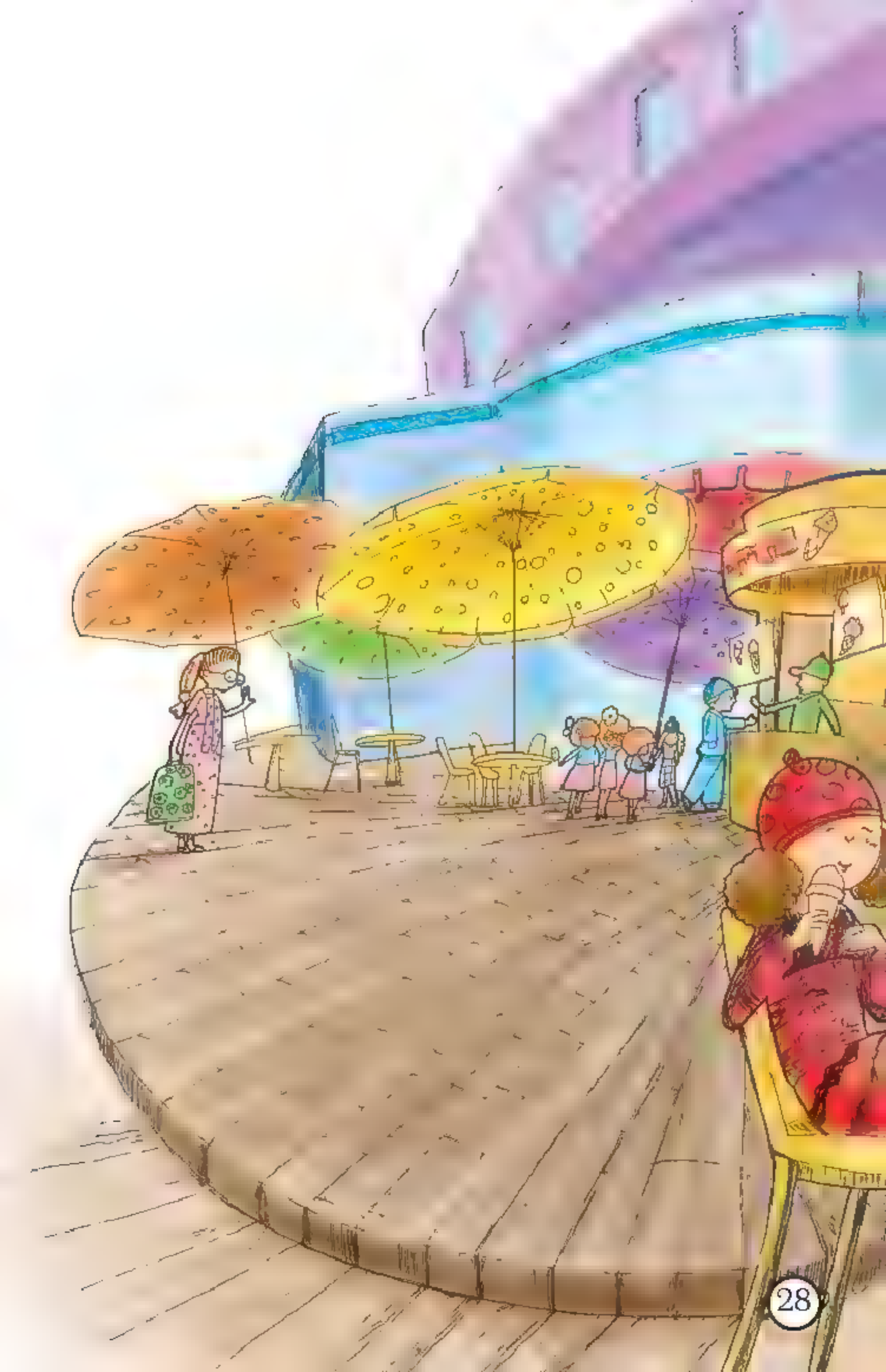
تكونُ الرّحلةُ ممتِعة ومرِحة جِداً.. كان صَباحُ يومِ الإثنين مُشرِقاً ومشمِساً، وكانت الفتياتُ تدردِشنَ بصوتٍ عالٍ في الحافِلة.. وكنّا سُعداء لأنّنا علِمنا أنَّ الآنِسة برينسون والسيّد سانشيز مدرِّسنا لمادةِ العُلوم سوف يقومَان بمرافقَتِنا.

وكان مدرِّس العُلوم مبتَهِجاً دائِماً، وقد استَطاعَ



جَعل مادّة العُلوم مادةً سهلةً.. كان هذَان المسكينَان العزيزَان سيقضِيان وقتاً عَصيباً في السَّيطرةِ على عِشرين فَتاة شقيّة خرجنَ لقضاءِ وقتٍ ممتعٍ. ولكنَّ الآنِسة برينسون المسكِينة بدَت فَظّةً حَقاً بعدَ أن قالَت لنا أنْ نبقَى مع بعضِنا البَعض وكرَّرتها عَدداً لا يُحصى من





المرّات، في حين ظلَّ شَعر السيّد سانشيز منتَصِباً كأنَّه في مُراقبةٍ دائمةٍ.. لقد بَدا وكأنّه على وشكِ أن ينفَجرَ بالبُكاءِ في أيّة لحظةٍ.

وبعدَ فترةٍ من وصولِنا تمَّ إخراجُنا من المتحَفِ بعد التحذيراتِ المتكرّرة من قِبَل الحارسِ الضَّخمِ البُنيَة الذي ظلَّ يُطالبُنا بصوتٍ هادرٍ: «يجبُ المحافَظةُ على المتحفِ، أيّتها السيّدات الشابّات!» .. ثم تمَّ نقلُنا إلى محلٍّ لبيعِ الهَدايا حتى نتمكَّنَ من الحُصولِ على بَعضِ الأشياءِ والرُّموزِ الصَّغيرةِ لأخذِها إلى المنزِل. كان السيّد سانشيز شاحِباً ومنزَعجاً جداً، فاشتَرى لبعضِ الفَتيات الآيس كريم لإسكاتهنَّ فقَط. وكنتُ أبحثُ بشكلٍ خاصٍّ عن شَيءٍ مثيرٍ للاهتِمامِ، ولاسيَّما عن صُورةٍ للوحةِ الموناليزا الشَّهيرة، وإذ بي أَرى بطرفِ عَيني شَيئاً يحدُث.

كانَت جانيس تضعُ بهدوءٍ كُرتَين من لُعبِ كُراتِ الثَّلجِ في حقيبتِها، ففكّرتُ أنّني «سأقدِّم لها خِدمةً حقّاً إذا تمَّ إلقاءُ القَبضِ علَيها».

ولكنّني رأيتُها تسيرُ نحوَ الآنِسةِ برينسون



وتصطَدمُ بها. خَرقاء! مَهلاً! ماذا يحدُث؟
بحركةٍ واحدةٍ سَريعةٍ رمَت جانيس الكُرات
في حقيبةِ الآنِسة برينسون التي كانَت تحملُها!
وكانَت حقيبةُ الآنِسةِ برينسون من صِنفِ تلكَ



الحقائِبِ الضَّخمةِ ذات الحُجرةِ الواحِدةِ وليس لها سَحَّاب، والتي غَالباً ما تحملُها بعضُ النِّساءِ الهادِئات جِداً. وقد فعلَت ذلك بسرعةٍ كبيرةٍ بحيثُ أنَّكَ لن تَستطيعَ رؤيتَها لو أَغمَضتَ طرفَةَ عَين.



ثمَّ قالَت: «عُذراً آنِسة برينسون» بأسلوبٍ متصنّعٍ ولائِقٍ وهادِئ جِداً، فردَّت الفريسةُ المطمئنّةُ دونَ أن تُحسَّ بالخطَر: «حسَناً جانيس».

استدرتُ لتنبيهِها وإذ بشَخصٍ ما يمسكُ مرفقَ





يدِي.. وكانت هيذر.. فقامَت بلَيِّ ذِراعِي وهمسَت في أُذُني: «إذا تفوَّهتِ بأيةِ كَلمةٍ سوفَ تَموتين».

لقد كانَتا شريكتَين في تنفيذِ المكيدَة! خَطفَت جانيس انتِباهي في تلكَ اللَّحظَة وابتسَمَت في وَجهي ابتِسامةً عريضةً خَبيثةً جعلَتني أتذكَّر

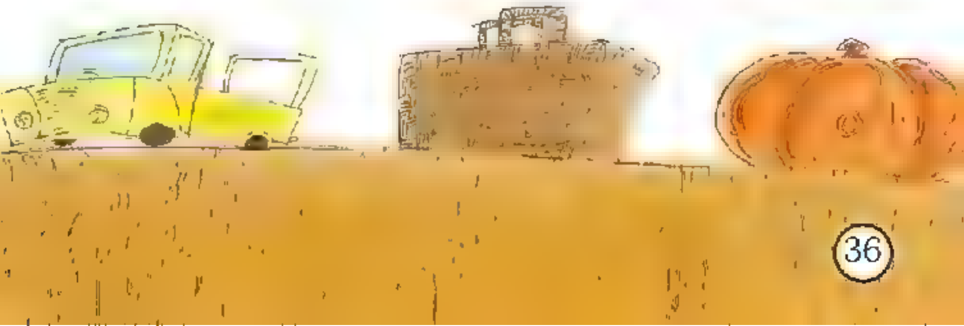


جميعَ الأطفالِ المخيفينَ الذين رأيتُهُم في أفلامِ الرُّعبِ! وفكّرتُ أنّ بإمكانِها أن تجعلَ حَياتي جَحيماً.

وفي اللَّحظةِ التي وصلَت فيها الآنِسةُ برينسون إلى بابِ المتجَر للخُروجِ دوَّت جميعُ أنواعِ أجراسِ الإنذارِ في المحلِّ.. فقالَ حارسُ

الأَمنِ لها: «الرَّجاء تراجَعي خُطوةً نحو الداخِل آنِسَتي». وكانَت الآنسةُ برينسون تظنُّ أنّها على وشْكِ المرورِ. فقالَت لَه: «من المؤكَّد أنَّ هنالك خطَأً ما، من فضلِكَ، ليسَ أمامَ طُلاّبي».

وكانَت بقيّة الطالِبات يُشاهدنَ خائِفاتٍ، فقامَ أحدُ المرافِقين بوضعِ يدِهِ داخِلَ الحقيبةِ وإخراجِ الكُرات. فصِرنا نتساءَل: هل سَيقومونَ باستِدعاءِ الشُّرطة؟ ثمَّ جاءَ السيّد سانشيز وبَدا عاجِزاً ومحرَجاً جِداً.. لقد كانوا في طَريقِهم لاعتِقالها لبعضِ الوَقت.. وكانَ الجميعُ ينظُرُ إلينا وكأنَّنا مجموعةٌ من اللُّصوصِ!





وتفاقَمَت الأمورُ وازدادَت المأساةُ حينَما قامَ السيِّد سانشيز بالاتّصالِ بالأهلِ لاصطِحابِنا إلى المنزِل.. وكان يردِّدُ على الهاتِفِ «لقد حصلَ حادِث».. أمّا هو فسَوفَ يبقَى لكَي يُحاولَ إنقاذَ الآنِسة برينسون من وَرطتِها.

لم أستَطِع النَّوم في تلكَ اللَّيلةِ.. هل سيودِعونَها السِّجنَ دونَ ذَنب؟ كيفَ أمكَنني أن أكونَ جَبانةً لهذهِ الدَّرجة؟ هل سيصدِّقونَني؟

وفي صَباحِ اليومِ التالي دَعانا السيّد سانشيز إلى صالةِ المعلِّمين للتحُّدثِ على انفِرادٍ..
وعلى ما يبدو أنّه نجحَ في إقناعِ موظَّفِي المتجَر بالسَّماحِ للآنِسة برينسون بالذَّهاب.. ومع ذلكَ، فهيَ لن تعودَ لفترةٍ طويلةٍ. وقد شعرتُ بالمرضِ مع الشُّعورِ بالذَّنب. وطلبَ منّا السيّد سانشيز الاعتِراف إذا كنّا قد رأَينا أيَّ شَيء..



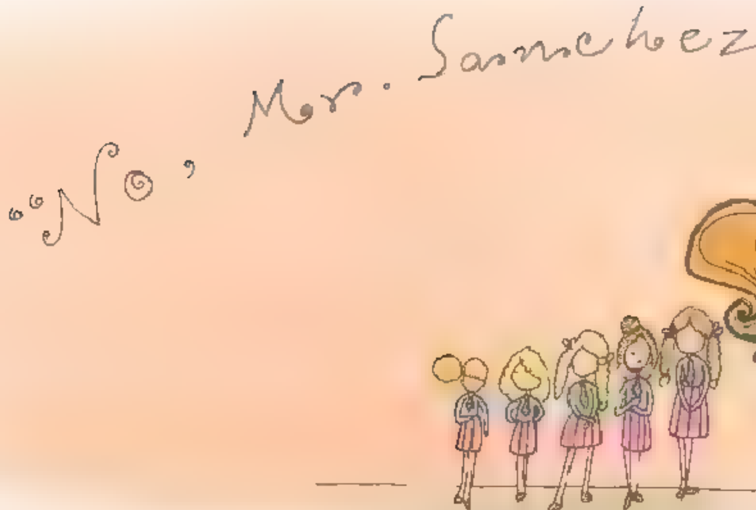
فكنتُ أتساءلُ إذا كان باستِطاعتِه أن يعلمَ ما في نَفسي.. وحينَما نظرَ إليَّ قلتُ له بتلَعثُم: «لا سيّد سانشيز، أنا لم أرَ أيَّ شَيء».

ويبدو أنَّ الكَذِبَ قد صارَ طَبيعَتي الثانِية.

تذكَّرتُ كلَّ الأشياءِ اللَّطيفةِ عن الآنِسةِ



برينسون البَريئة.. وكيفَ أنَّها سوفَ تخسرُ
سُمعتَها في بلدةٍ صغيرةٍ مثل بايب
بمجرَّد أن ينتشِرَ الخبَر.. كيف استَطعتُ أن
أكونَ غبيّةً هكذا؟ كنتُ كذابةً ولكنّني لم أقصِد
مُطلَقاً إيذاءَ أيّ أحَد.



لقد ذهبَتِ الآن لمدّة أسبوعَين، وكان يُشاعُ أنّها غادرَت المدينةَ. أمّا أنا فأصبحتُ شاحِبةً كالشَّبح.. وكانت الكَوابيسُ تطاردُني في نَومي، وبالكادِ كنتُ أتمكّنُ من تناولِ الطَّعام.. كان والدايَ قلقَين، حتى أنّهما أخَذا موعِداً من الطَّبيبِ.

وعندما كنتُ أُشاهدُ التلفازَ خطرَت بِبالي فِكرة لامِعة فَجأة.. ففي اليومِ التالي في المدرَسةِ انتظَرتُ السيّد سانشيز حتّى وصَل.. وكان الاعتِرافُ مصدرَ ارتياحٍ لي.. لم يعُد يهمُّني إذا قامَت جانيس وهيذر بدَفني وأنا على قيدِ الحياةِ بعدَ ذلك. فسألَني: «ولكنْ مَاذا تملكين من دَليل، يا ليندسي؟ فقُلتُ له: «هل تعتقِد أنّهم كلَّفوا أنفُسَهم عناءَ التحقُّقِ من تَسجيلِ كاميراتِ المراقَبة؟»



وأخيراً ظهرَت الحقيقةُ! وتمّت تَبرئةُ الآنِسة برينسون.. وبنظرةٍ واحدةٍ على لقَطاتِ تَسجيلِ الكاميرات في ذلك اليَوم، تمَّ كشفُ حقيقةِ كلّ



ما حدَث. وقد اعتذَرَ المتجرُ للآنسةِ برينسون لعدمِ التأكُّد من صِحّةِ ما جَرى.. أَعني، مَن الذي فعلَ ذلك؟ يجبُ عليها مقاضَاتُهما.



ولكنَّ الآنِسة برينسون حَقاً جَميلةٌ ولطيفةٌ جِداً.. لقد عادَت ونحنُ جَميعاً سُعَداء.. والآن يقولُ الجميعُ بأَنَّهم يعرِفون أنّها لم تفعَل ذلك. إنّهم كاذِبون!

لقد طُلبَ من آباءِ جانيس وهيذر بطريقةٍ لائقةٍ إلحاقُ الفتاتَين الصّغيرتَين بمدرسةٍ أُخرى مختلِفة.. أما أنا فقد شَعرتُ بالنَّدَم مرّة أُخرى لعدمِ قولِ الحقيقةِ منذُ البِداية.. ولكنّني أشعرُ بالراحةِ أيضاً.. يجبُ أن أقولَ الحقيقةَ كلّ الأوقاتِ.

العِبرَة من القِصّة:

سواءٌ أكانَت كَبيرةً أم صَغيرةً فالأكاذيبُ هي أكَاذيب.. يجبُ دائِماً قَولُ الحقيقةِ.

